

فضيلة الشيخ

عبد الحميد كشك

الاسـلام
سـعادة واصـلاح

الشيخ عبد الحميد كشـك

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا أله إلا الله ولى الصالحين وأشهد أن سيدنا ونبينا وعظيمنا وحبيبنا محمداً رسول الله خاتم الأنبياء والمرسلين

صلوات ربى وسلامه عليك ياسيدى يارسول الله يامن بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة ومحوت الظلمة وكشفت الغمة وجاهدت فى الله حق جهاد حتى أتاك اليقين

صلت عليك ملائك الرحمة
وسرى الضياء بسائر الأكوان
لما طلعت على الوجود مزوداً
بحمى الاله وراية القرآن

وبعد فإن الإسلام بتعاليمه السمحه فيه السعادة والإصلاح لكل المجتمعات فى قارات الأرض . إنه دين جاء لتوحيد العقائد لا لتفريق القواعد . جاء للشعوب المتحضرة كالأستاذ العظيم

وللشعوب البدائية كالوالد الرحيم فمن سار فى هدى كتابة سار فى ضوء الشمس وضحاها ومن تبع سنة رسوله ﷺ سار فى نور القمر إذا تلاها ومن سلك الكتاب والسنة سلوك المستقيم عاش فى وضح النهار إذا جلاها ومن طرحهما وراء ظهره ونبذ تعاليمهما تخبط فى ظلمة الليل إذا يغشاها وقد ضمنت بمشئة الله تعالى هذا الكتاب موضوعات متنوعة تنقل النفس من أحقرها وأدناها إلى أرفعها وأعلاها وتسمو بالإنسانية من مدارج النمال إلى مسابح الأفلاك عسى الله تعالى أن ينفع بما كتبنا وإن فى هذا الكتاب زاداً طيبا ومعينا صافيا للدعاه الذين يصعدون المنابر ويدعون إلى الله على بصيرة ويضيئون أمام البشرية مشاعل الحق وان كل موضوع من موضوعاته يصلح أن يكون خطبة قائمة بذاتها فإن أكن أحسنت فمن الله وإن كانت الأخرى فمن نفسى وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

عبد الحميد كشك

الإخلاد إلى الأرض

جل جلال الله إذ يقول« من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون » .

نعم إن شر الناس من باع آخرته بدنياه وشر منه من باع آخرته بدنيا غيره .

أجعل بربك كل عزك يستقر ويثبت

فإذا اعتــزت بمن يموت فإن عزك ميت

إنها قصة فى آية كريمة يقول فيها الحق جل وعلا « واتلُ عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فإتبعة الشيطان فكان من الغاوين » .

إن كانت هذه الآية قد نزلت فى حق حبر من أحبار أهل الكتاب إلا أن العبرة كما يقول الاصوليون بعموم اللفظ لا

بخصوص السبب ولذا جاء الأمر فى نهاية القصة متمثلا فى قوله تعالى « فاقصص القصص لعلهم يتفكرون »

وضرب المثل فى القرآن مدرسة تربوية لها أصولها ومناهجها إذ هى تجعل من المعقول من الظهور والوضوح ما يخاله المخاطب محسوسا ملموسا قال تعالى : « وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون »

وقال جل شأنه : « مثل الذين أتخذوا من دون الله أوليا كمثل العنكبوت أتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون أن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون » .

إن هذا الذى غوى بعد الهدى وضل بعد الرشاد وإرتكس فى طين المادة بعد أن أرتفع فى لطافة الروح وأنسلخ من آيات الله بعد أن جمله الله بها وزينه . قال الله فى شأنه « ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض أى مال إليها وتشبث بها مطمئنا بها قلبه . مجذبته بمغناطيسية شديدة فإرتكس وأبتكس وتمرغ فى الأوحال بعد أن فقد الجناحين وكان بهما يحلق فيما فوق قبة الفلك

وتأمل معنى قوله جل جلاله : « اخلد إلى الأرض »

كيف عبر عن الدنيا بالآرض لأن الذين يخلدون إليها وتتربع على سويداء قلوبهم إنما هبطوا إلى الدرك الأسفل فى ظلمات بعضها فوق بعض .

إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا وإطمئنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون .

ولقد جمع الله تعالى هؤلاء الفرق التى غوت وهوت فى آية قال فيها سبحانه « وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا الذين كانت أعينهم فى غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعا »

ولو علم هؤلاء أن الدنيا إذا حلت أوحلت وإذا كست أوكست وإذا جلت أوجلت وإذا أينعت نعت وكم من ملك رفعت له علامات فلما علا مات .

لو علم هؤلاء حال الدنيا وتقلبها بأهلها ما أخلدوا إلى الأرض وما ركنوا إليها وما طمعوا فيها .

هى الدنيا تقول بملء فيها
حذارى حذارى بطشى وفتكى

فلا يغرركمو منى إبتسام

فقولى مضحك والفعل مبكى

قال تعالى فى حق هذا الضال : « وأتبع هواه » وذلك بعد أن أخلد إلى الأرض .

والهوى هو نوازع النفس إلى مسالك الشر ومن عرف الهوى فقد هوى .

نون الهوان من الهوى مخزوفة

فإذا هويت فقد لقيت هوانا

قال الله تبارك وتعالى : « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى »

وقال ﷺ لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به

وجعل من المهلكات التى تؤدى بصاحبها إلى أودية الهلاك جعل منها شحا مطاعا وهوى متبعا وإعجاب المرء بنفسه ثم ضرب الله تعالى مثلا لهذا الذى إنسلخ من الآيات فقال « ممثله كمثل الكلب » .

ولكن فى أى حالة من حالاته ؟ أن الكلب قد يكون أمينا على مال صاحبه حريصا فى حراسته من وقوع أى ضرر على متاع

سيده فقد مرالنبى ﷺ برجل قتيل فسأل من قتل هذا ؟ .

قالوا يارسول الله إنه لص سطا على غنم القوم فخرج عليه كلب الغنم فقتله فقال ﷺ : فى شأن هذا القتيل قتل نفسه وأضاع ديته وكان الكلب خيراً منه .

إن الله تعالى ضرب مثلا للمتكلبين على الدنيا بحال الكلب فى اسوأ حالاته فقال جل شأنه « إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث » أى إنه دائما فى حال أعياء وتعب إن حملت عليه وزجرته ونهرته يلهث أى يتنفس بصعوبة ويخرج لسانه لإنه ضعيف الفؤاد وأن أنت تركته وأرحته فإنه كذلك يلهث .

هذا مثل يصور حالا عجيبة لقوم إنسلخوا من آيات الله وصاروا أستاذة للشيطان فى الغواية وكانوا من الغاوين وأخلدوا إلى الأرض وأتبعوا أهواءهم .

أنهم مثل الكلب فى حال تعبه وإعيائه لقد فقدوا أعظم مملكة وهى مملكة الرضا التى قال فيها سيد الأنبياء والمرسلين : أتق المحارم تكن أعبد الناس وإرض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس وأحسن إلى جارك تكن مؤمنا واحب لاخيك ما تحب لنفسك تكن مسلما ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب .

إن هؤلاء المتكالبين على الدنيا إن تحمل عليهم يلهثوا وأن تتركهم يلهثوا . إن أقبلت عليهم الدنيا طلبوا المزيد وركضوا فيها ركض الوحش فى البدريه وإن أعرضت عنهم الدنيا أزدادوا شقاء وتعبا ولو كان لأحدهم واديان من مال لا بتغى ثالثا ولا يملأ أعينهم إلا التراب ويتوب الله على من تاب قال تعالى : « فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ساء مثلا القوم الذين كذبوا بأياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون » .

ماذا تقول لربك غداً ؟

هذه كلمة مأثورة عن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه الرجل الذى قال فيه ترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما : أكثر من ذكر عمر فإنكم إذا ذكرتموه ذكرتم العدل وفى ذكر العدل ذكر لله تعالى .

لقد علمنا عمر كيف نحاسب أنفسنا قبل أن يحاسبنا من يعلم خافية الأعين وما تخفى الصدور .

كان إذا وضع رأسه ليأخذ قسطه من النوم يسأل نفسه هذا السؤال : ماذا تقول لربك غداً ياعمر لقد كنت ضالا فهداك الله

وكنت وضيعاً فرفعك الله وكنت ذليلاً فأعزك الله فماذا تقول لربك غداً ؟

سؤال تقشعر منه الأبدان وتشيب من هوله الولدان . فاليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل .

« لله ما فى السماوات وما فى الأرض وإن تبدو ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير » .

غداً توفى النفوس ما كسبت
ويحصد الزارعون ما زرعوا
إن أحسنوا أحسنوا لأنفسهم
وإن أساءوا فبئس ما صنعوا

إن العدل حسن ويكون أحسن لو اتصف به الحاكم وإن الظلم سيء ولكنه أسوء إذا كان فى الأمراء لذا وضع الإسلام صمام الأمن عندما قال الصادق المعصوم صلوات ربى وسلامه عليه .

« اثنان إذا صلحا صلحت الأمة وإذا فسدا فسدت الأمة : العلماء والأمراء » .

ولقد طبق الخلفاء الراشدون المهديون هذه الكلمات النوارنية

الصافية كان أبو بكر يقول :

« أيها الناس لقد وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينونى وإن اسأت فقومونى أطيعونى ما أطعت الله فيكم فإن اسأت فلا طاعة لى عليكم الصدق أمانة والكذب خيانة القوى فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه والضعيف فيكم قوى حتى آخذ الحق له » .

فتأمل معى كيف ركز الصديق على الصدق وكيف جعله أمانة تعظم خيانتها لإنه يعلم أنه سيحاكم أمام قوله جل شأنه « يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا آماناتكم وأنتم تعلمون » .

وكما أن الصدق أمانة فإن الكذب خيانة وما من أمة تتخذ من الصدق تخلقا وتذوقا وتحققا إلا كان العز رائدها والنصر حليفها وألبسها الله لباس الرفعة والشرف .

وما من آمة تتخذ من الكذب وثاراً وبطانة إلا كان الذل رائدها والخزى حليفها واذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون .

لقد كان أبو بكر بين الناس رجلا وبين الرجال بطلا وبين الأبطال مثلا حكم المسلمين ثلاثين شهرا كان أفضل عند الله من

ثلاثين قرنا وقالت له عائشة يوم نام على فراش الموت ياأبتى أشترى لك كفنا .

قال : ياعائشة إن الحى أولى بالجديد من الميت .

قالت : ففيم نكفنك ؟

قال : فى ثوبى هذا

قالت : لقد أصابه البلى .

قال : ياعائشة وما ذا أصنع بالجديد

قالت : يا أبتى أستدعى لك الطبيب ؟

قال : لقد قابلت الطبيب .

قالت : فماذا قال لك ؟

قال : قال لى أنا فعال لما أريد

نعم : ما أعظمه من طبيب قال عنه القران الكريم حكاية عن إبراهيم الخليل « الذى خلقنى فهو يهدين والذى هو يطعمنى ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين والذى يميتنى ثم يحيين والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين » .

نعم : ما أعظمه من طبيب يقول فى حديثة القدسى الجليل « عبدى أنت تريد وأنا أريد ولا يكون إلا ما أريد فإن سلمت لى فيما إريد كفيتك ما تريد وإن لم تسلم لى فيما أريد أتعبتك

فيما تريد ولا يكون إلا ما أريد .

إن الخلفية الراشد الصديق كان قوياً فى عقيدته قوياً فى عزيمته قوياً فى إدارته قوياً فى رعيته أستطاع بقوة إيمانه أن يطوق بذراعيه أكبر امبراطوريتين فى عصره الروم والفرس وما مات إلا بعد أن اطمأن على حال المسلمين . لما بلغه ما قاله كسرى من أفتراء على الله ورسوله أرسل إليه إنذاراً حربياً شديد اللهجة وضع فيه النقاط على حروفها وسمى فيه الاشياء باسمائها كما وضع كسرى أمام نفسه ليعرفه حجمه .

قال ياكسرى أتتكبر على الله ورسوله وأنت الذى نزلت من مجرى البول مرتين مرة من صلب أبيك ومرة من رحم أمك .

ما أجلها من كلمة صدق خرجت من فم الصديق يوم يتكبر ابن آدم على الله فإنه حفنه من التراب تداس بالاقدام .

ألست يا أبن آدم من عناصر الأرض وأهم ما فيك من عناصر دهن وكربون ومغنسيوم وفسفور وكبريت وجير وحديد وماء لوجئنا بإنسان يزن مائه وأربعين رطلا لوجدنا فيه من تلك العناصر ما يقدر بما يلى :

فيه من الدهن ما يكفى لصنع سبع قطع من الصابون ومن

الكربون ما يكفى لصنع سبعة أقلام من الرصاص ومن المغنسيوم ما يكفى لجرعة مسهلة ومن الفوسفور ما يكفى لصنع مائة وعشرون رأس عود من الثقاب ومن الجير ما يكفى لرش عشة دجاج ومن الكبريت ما يكفى لتطهير جلد كلب من البراغيث ومن الحديد ما يكفى لصنع مسمار متوسط الحجم ومن الماء ما يكفى لملء برميل يسع عشرة جالونات قالوا وهذه الأشياء كلها لو بيعت فقد تباع بجنيه واحد هذه قيمة المادة وجل جلال الله إذ يقول : « كلا أنا خلقناهم مما يعلمون » وعظمت حكمته عندما أمر الملائكة أن تسجد لآدم لم يأمرهم بالسجود له وهو طين إنما أمرهم بعد نفخ الروح قال « فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين » فياأبن آدم أنت بالنفس لا بالجسم إنسان ورحم الله أمرئا عرف قدر نفسه .

كفى بالله شهيداً

على كل عاقل أن يكون له فى أيام عمره ساعات فساعة يناجى فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يخلوا فيها لحاجته من المطعم والمشرب والمعاش وساعة يتفكر فيها فى صنع الله عز وجل .

وعلى كل عاقل ان يقف كثيرا أمام قول رسول الله ﷺ لا تزول قدما عبد من بين يدى الله عز وجل حتى يسأل عن اربع : شبابك فيما أبليته وعمرك فيم أفنيته ومالك من أين إكتسبته وفيم أنفقته وعلمك ماذا صنعت فيه ؟

إذا كان ذلك كذلك فليذهب العاقل إلى نتيجة هذا الحديث وقد تركزت تلك النتيجة فى قول الصادق المعصوم أغتنم خمسا قبل خمس : شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك .

وليعلم أن القول فصل وما هو بالهزل من ذلك فإن أنفاس الإنسان محسوبة عليه والفاظ لسانه مكتوبة معلومه عند من يعلم السر واخفى بل ووساوس الصدر كلها عند من يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور .

« ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ماتوسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد إذ يتلقى المتلقيان عن اليمن وعن الشمال فعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد » .

إذا شئت أن تحيا سليما من الاذى
وحظك موفور وعرضك صين

لسانك لا تذكر به عورة امرئ
فكلك عورات وللناس ألسن
وعينك أن إبدت إليك مساوئا
فصنها وقل ياعين للناس أعين
وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى
وفارق ولكن بالتى هى أحسن

روى عبادة بن الصامت أنه عليه السلام قال لرجل سأله أن يوصيه ويعظه .

« إذا أردت أمرا فتدبر عاقبته فإن كان رشداً فأمضه وإن كان غيا فانته عنه » .

وقال بعض الحكماء : إذا أردت أن يكون العقل غالبا للهوى فلا تعمل بقضاء الشهوة حتى تنظر العاقبة فإن مكث الندامة فى القلب أكثر من مكث حفه الشهوة .

وقال لقمان :
إن المؤمن إذا أبصر العاقبة أمن الندامة . وروى شداد بن أوس عنه ﷺ إنه قال : « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى » .

دان نفسه أى حاسبها ويوم الدين يوم الحساب وقوله «انّا لمدينون » أى لمحاسبون .

وقال عمر رضى الله عنه حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزنوا فإن مما يهون عليكم الحساب غدا أن تحاسبوا أنفسكم اليوم وتزينوا للعرض الأكبر يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية فياله من يوم ما أطوله وياله من خطب ما أهوله وياله من جبار ما أعدله .

يوم يقال فيه للمظلوم تقدم
ويقال للظالم لا تتكلم

هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون يوم ينادى فيه الحق جل جلاله : لمن الملك اليوم فلا مجيب .

فيقول سبحانه : الله الواحد القهار اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب « فإذا جاءت الطامة الكبرى يوم يتذكر الإنسان ما سعى وبرزت الجحيم لمن يرى فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هى المأوى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى .

ياله من يوم يلقى الولد فيه والده فيقول له ياأبت لقد كنت

بك برا وإليك محسنا وعليك مشفقا فهل أجد عندك حسنة يعود علىّ خيرها اليوم فيقول له يابنى ليتنى أستطيع . ذلك إننى أشكو مما منه تشكو .

وتلقى الأم ولدها فتقول له يابنى لقد كان بطنى لك وعاء وكان ثدى لك سقاءً وكان حجرى لك وطائا فهل أجد عندك حسنة يعود على خيرها اليوم ؟

فيقول لها ياأماه ليتنى أستطيع ذلك أننى أشكو مما منه تشكين اقرءوا ان شئتم قوله تعالى : « وإن تدع مثقله إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى » .

واقرءوا قوله جل جلاله « ياأيها الناس أتقوا ربكم وإخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور »

واقرءوا إن شئتم قوله جل جلاله : « ياأيها الناس إتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد » .

وأعلم يا أبن آدم أن الدنيا دار ممر وأن الآخرة دار مقر فخذ من ممرك لمقرك فالليل مهما طال فلابد من طلوع الفجر والعمر مهما طال.فلابد من دخول القبر وإذا غرتك قوتك فانظر إلى قوة العزيز الجبار من فوقك .

إذا أخذتك العزة بالاثم وغلبتك نفسك فقل لها أعلمى يا نفس أن البقاء لله وحده وأنك غدا ستقفين بين يديه فى يوم يقول فيه الواحد الديان « فإذا جاءت الصاخه يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل أمرىء منهم يومئذ شأن يغنيه » .

فما للقلوب أصبحت لا تخشع وما للابصار أصبحت لا تدمع وما للأذان أصبحت لا تسمع وما للاجسام أصبحت لا تسجد ولا تركع .

أتدرى كيف تاب العارف بالله الفضيل بن عياض رضى الله عنه لقد تاب بسماعه آية من كتاب الله سطا ذات ليله على بيت ليسرق ما فيه وبينما هو على درج السلم إذ سمع صاحب البيت يقرأ فى جوف الليل قوله جل شأنه « الم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق » فوقفت قدماه على السلم وعجزتا عن الحركة لأن الآية أخذت طريقها إلى سمعه ثم عبرت المجال إلى القلب فقال قوله حق قال : يارب الآن آن لقلبى

أن يخشع لذكرك ولما أنزلته من الحق .

وكانت ساعة إجابة فتحول من سارق إلى عارف ومن قاطع إلى عابد عالم حتى صار من أقواله : أن العمل لا يقبل إلا بشرطين .

أولهما : أن يكون صوابا أى مطابقا لما ورد به الشرع .

وثانيهما : ان يكون خالصا لا رياء فيه قال تعالى « فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحداً » فاللهم أرزقنا صدقا فى القول وأخلاصا فى العمل وإجعلنا من الذين تظلهم بظلك يوم لا ظل إلا ظلك .

فضيلة المراقبة

« سبح لله ما فى المساوات والأرض وهو العزيز الحكيم له ملك السماوات والأرض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير » .

سبحانه تفرد بالجلال الكمال تنزه عن مشابهة الأغيار وتقدس عن مماثلة المخلوقات هو الذى أبدع الوجود بحكمته

وأحاطه بعنايته ورعايته ولو سألت العالم من عرشه إلى فرشه ومن سمائه إلى أرضه وقلت له من خالقك لأجابك بلسان الحال والمقال : أنا مخلوق للواحد الديان الذى عز فغلب وعلا فقهر وبطن فخبر وملك فقدر الموصوف بالحكمة المنزه عن العبث .

فوا عجبا كيف نعصى الاله أم كيف يجحده الجاحد وفى كل شىء له آية تدل على أنه الواحد هو الذى أنفرد بالإحياء والإماته عنت الوجوده لجلال جبروته وخشعت الأصوات لعظم ملكوته سبحانه يحيى العظام وهى رميم وله ماسكن فى الليل والنهار وهو السميع العليم .

شملت قدرته جميع الكائنات فلا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماوات الأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه .

سئل الإمام الشافعى رضى الله عنه فقيل له :
ما الدليل على قدرة الله يا إمام ؟
قال : ورقة التوت تأكلها الدودة فتخرجها حريرا وتأكلها النحلة فتخرجها شهدا شهيا ويأكلها الغزال فيخرجها مسكا زكيا وتأكلها الشاه فتخرجها بعرا .

المادة واحدة والصنعة مختلفة . أليس فى إختلاف الصنعة دليل على قدرة الصانع وإرادته ؟

« وما ذرأ لكم فى الأرض مختلفا الوانه إن فى ذلك لآية لقوم يذكرون » هو الأول فلا شيء قبله الآخر فلا شيء بعده الظاهر فلا شيء فوقه الباطن فلا شيء دونه وهو بكل شيء عليم أحاط بكل شيء علما وأحصى كل شيء عددا . سمع أرجل النملة السمراء وعلمها ورآها فوق الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء .

يا من يرى مد البعوض جناحه
فى ظلمة الليل البهيم الآليل
ويرى نياط عروقها فى نحرها
والمخ فى تلك العظام النحل
ويرى ويسمع ما يرى ما دونها
فى قاع بحر ذاخر متجندل

وبعد العزة والحكمة والاتصاف بالقدرة والقدم والبقاء والعلم تأتى آية المراقبة .

« هو الذى خلق السماوات والأرض فى سته أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من

السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير » .

ما أعظم هذا الجلال وما أروع هذا الكمال « استوى على العرش » استواء يليق بذاته فالاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة والإيمان به واجب ومن الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ .

فإنه تعالى كان ولا مكان وهو على ما كان قبل خلق المكان لم يتغير عما كان .

فلا العرش يحمله ولا الكرسى يسنده بل العرش وحملته والكرسى وعظمته الكل محمول بعظم إرادته وقدرته مقهور بجلاله وكماله وجبروته .

ثم أنتقل معى إلى مجال المراقبة فى قوله جل شأنه « وهو معكم أينما كنتم » .

هنا تمثل فضيلة المراقبة خاصة عندما تختم الآية بقوله جل جلاله « والله بما تعملون بصير » .

فهل بعد المعية الإلاهيه والبصر العلوى هل بعد ذلك من دليل يحتاج إليه العاقل ليراقب خلجات نفسه ويحاسب النفس على

حركاتها وسكناتها .

لقد سأل جبريل عليه السلام عن الإحسان فقال له رسول الله ﷺ : « أن تعبد الله كأنك تراه »وقال ﷺ «أعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فانه يراك » .

وقال الله تعالى « أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت » وقال تعالى « الم يعلم بأن الله يرى » وقال الله تعالى : « إن الله كان عليكم رقيبا » وقال سبحانه : « والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون » .

وقال أبن المبارك لرجل راقب الله تعالى : فسأله عن تفسيره فقال كن أبدا كأنك ترى الله عز وجل

وقال عبد الواحد بن زيد : إذا كان سيدى رقيبا على فلا أبالى بغيره .

وقال أبو عثمان المغربى : أفضل ما يلزم الإنسان نفسه فى هذه الطريقة المحاسبه والمراقبه وسياسة عمله بالعلم .

وقال أبن عطاء : أفضل الطاعات مراقبة الحق على دوام الأوقات .

وقال الحريرى : أمرنا هذا مبنى على اصلين أن تلزم نفسك المراقبة لله عز وجل ويكون العلم على ظاهرك قائما .

وقال أبو عثمان : قال لى أبو حفصى : إذا جلست للناس فكن واعظا لنفسك وقلبك ولا يغرنك إجتماعهم عليك فانهم يراقبون ظاهرك والله رقيب على باطنك .

وحكى إنه كان لبعض المشايخ من هذه الطائفة تلميذ شاب وكان يكرمه ويقدمه فقال له بعض أصحابه كيف تكرم هذا وهو شاب ونحن شيوخ فدعا بعده طيور وناول كل واحد منهم طائرا وسكينا وقال ليذبح كل واحد منكم طائره فى موضع لا يراه أحد ودفع إلى الشاب مثل ذلك وقال له كما قال لهم فرجع كل واحد بطائره مذبوحا ورجع الشاب والطائر حى فى يده فقال مالك لم تذبح كما ذبح أصحابك فقال لم أجد موضعا لا يرانى فيه أحد إذ الله مطلع على فى كل مكان فاستحسنوا منه هذه المراقبة وقالوا حق لك أن تكرم .

وحكى إن زليخا لما خلت بيوسف عليه السلام قامت فغطت وجه صنم كان لها فقال يوسف مالك أتستحيين من مراقبة جماد ولا أستحيى من مراقبة الملك الجبار .

وحكى عن بعض الأحداث إنه راود جارية عن نفسها فقالت له إلا تستحى فقال ممن أستحى ؟ وما يرانا إلا الكواكب قالت فأين مكوكبها .

وقال عبد الله بن دينار خرجت مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى مكة فغرسنا فى بعض الطريق فإنحدر عليه راع من الجبل فقال له ياراعى بعنى شاه من هذه الغنم فقال إنى مملوك فقال قل لسيدك أكلها الذئب قال فأين الله قال فبكى عمر رضى الله عنه ثم عدا إلى المملوك فاشتراه من مولاه وأعتقه وقال أعتقتك فى الدنيا هذه الكلمة وارجوا أن تعتقك فى الاخره .

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل خلوت ولكن قل على رقيب ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أن ما تخفيه عنه يغيب ألم تر أن اليوم أسرع ذاهب وان غدا للناظرين قريب .
يامن يجيب المضطر إذا دعاه

أن القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد وجلاؤها ذكر الله وتلاوة القران .

أن هذه الآية الجامعة من سورة آل عمران والتى أبكت الرسول ﷺ عند نزولها وقال فى حقها ويل لمن لاكها بلسانه ولم يتدبرها قلبه ان هذه الآية هى قوله تعالى :

« إن فى خلق السماوات والأرض وإختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب » .

هذه الآية الفذه الجامعة المانعة الشافية الكافية الوافية وصفت أولى الألباب بصفات الحق والخير والجمال وصفتهم أولا بأنهم يذكرون الله على كل حال قائمين وقاعدين وعلى جنوبهم .

فمثل الذى يذكر الله والذى لا يذكره كمثل الحى والميت .

إنهم مستحضرون لعظمة الله فى كل لحظه من لحظات حياتهم وفى كل نفس من أنفاسهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون فهم فى عباداتهم وسلوكهم وتحركاتهم وسكناتهم ذاكرون مستحضرون ناعتون الله بنعوت الجلال والكمال « إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لا يشركون والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجله إنهم إلى ربهم راجعون أولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون » .

وفى هذه الآية الجامعه من آل عمران نعت الله أولى الألباب بعد الذكر بالتفكر .

فقال عز من قائل : « ويتفكرون فى خلق السماوات والأرض »

فالذكر لابد وأن يقترن بالتفكر وإلا أصبح لا روح فيه إذ التفكر يسرى فى حنايا الذكر سريان الماء فى العود الأخضر أو سريان ماء الورد فى الورد وكل ذكر يخلو من الفكر موات لا روح فيه أن التفكر فى خلق السماوات والأرض إحياء لموات القلوب قال جل شأنه « قل أنظروا ماذا فى السماوات والأرض »

وقال سبحانه فى مشهد قرآنى رائع

« الله الذى رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم أستوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسى وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين أثنين يغشى الليل النهار إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون وفى الأرض قطع متجاورات وجنّات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضّل بعضها على بعض فى الأكل إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون »

تأمل فى نبات الأرض وأنظر
إلى آثار ما صنع المليك

عيـون من لجين شاخصات
بأبصار هى الـذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات
بأن الله ليس له شريك

« أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزا (ء إله)مع مع الله بل أكثرهم لا يعلمون »

لا اله إلا الله أخلو بها وحدى
لا اله إلا الله يغفر بها ذنبى
لا اله إلا الله أفنى بها عمرى
لا اله إلا الله أدخل بها قبرى
لا اله إلا الله ألقى بها ربى

سبحانك اللهم أنت الواحد كل الوجود على وجودك شاهد ياحى ياقيوم أنت المرتجى وإلى علاك عنا الجبين الساجد كيف يتفكرون فى خلق السماوات والأرض .

إنهم يتفكرون باسلوب يفيض كمالا وجلالا وجمالا ويشع نوراً وبهاء وضياء .

أسلوب ترى فيه آدب المؤمن مع ربه عز وجل « ربنا ما خلقت هذا باطلا » .

يأتى هذا الأسلوب نابعا من قوله جل شأنه « وما خلقنا السماء والأرض وما بينها لاعبين » .

ومن قوله تبارك أسمه : « وما خلقنا السماوات والأرض وما بينها إلا بالحق وإن الساعة لآتيه فاصفح الصفح الجميل إن ربك هو الخلاق العليم »

ومن قوله عز وجل : « وما خلقنا السماء والأرض وما بينها باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار » .

ومن قوله جل فى علاه : « افحسبتم إنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لاترجعون فتعالى الله الملك الحق لا أله إلا هو رب العرش الكريم »

ثم يقرنون هذا الأدب الراقى الرفيع المستوى بالدعاء فيقولون : « فقنا عذاب النار » .

وهكذا جمعت الآية لهم الذكر والتفكر والدعاء فبان من ذلك إن أولى الألباب قوم ذاكرون الله على كل حال متفكرون فى خلق السماوات والأرض يدعون الله ويسألونه أن يقيهم عذاب النار

وهم يعلمون أن من يدخله الله النار فقد أخزاه .

« ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار »

أنهم يعلنونها واضحة عالية فى سمع الزمان « ربنا إننا سمعنا مناديا ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا »

ثم يطلبون المزيد من الدعاء فإنهم يعلمون أنهم لا يدعون أصم ولا غائبا إنما يدعون سميعا قريبا .

« ربنا فأغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد »

ويأتى الحكم الألهى من رب العزة الذى يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء عمن ناداه يأتى الحكم من الحليم الكريم « فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض »

لقد علم الله منهم صفاء النية وسلامة القلوب وسخاوة الصدور وتقوى الله هى السر فى سلامة القلب « ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب »

« فإستجاب لهم » إنما يتقبل الله من المتقين « وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله »

يامن يجيب دعا المضطر فى الظلم
ويكشف الضر والبلوى مع السقم
ان كان أهل التقى فازدا بما عملوا
فمن يجود على العاصين بالكرم

يامن تنزه عن الشرك ذاته وتقدست عن مشابهة الأغيار صفاته أنت بالبر معروف وبالإحسان موصوف معروف بلا غاية وموصوف بلا نهاية أنت الواحد لا من قلة والموجود لا من علة . يامن يرى ما فى الضمير ويسمع هب لنا من لدنك رحمة وهىء لنا من أمرنا رشدا

فطوبى لأولى الألباب الذاكرين المتفكرين المتضرعين طوبى لهم وحسن مآب .

فى رحاب النور

« ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم »
« الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور »
« ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور »
« ومن يؤمن بالله يهد قلبه »
« ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا »

هذه قوانين يقينية الثبوت وتلك حقائق العلم بها متحقق لا تختلف ولا تتخلف إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ما أعظم الأعتصام بالله والتوجه إليه فهو صاحب العزة القائمة والمملكة الدائمة لا ينقصه نائل ولا يشغله سائل أسمع إليه سبحانه وهو ينادى فى كبرياء وعزة وجلال فيقول فى حديثة القدسى الجليل .

« ياعبادى أنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما ، فلا تظالموا . ياعبادى ، إنكم تخطئون بالليل والنهار . وأنا أغفر الذنوب جميعا ولا أبالى فاستغفرونى أغفرلكم . ياعبادى

كلكم عار إلا من كسوته فاستكسونى أكسكم . ياعبادى ، كلكم ضال إلا من هديته ، فإستهدونى أهدكم . ياعبادى إنكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى . ياعبادى لو أن أولكم وآخركم وأنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك فى ملكى شيئا . ياعبادى لو أن أولكم وآخركم وأنسكم وجنكم إجتمعوا فى صعيد واحد فسألونى فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندى إلا كما ينقص البحر إذا غمس فيه المحيط غمسة واحدة . ياعبادى إنما هى أعمالكم أحصيها لكم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه »

إلهنا ما أكرمك ما أحلمك ما أعظمك .

لو إجتمع الخلق كلهم أجمعون فى صعيد واحد وسألوك وأعطيت كل واحد منهم مسألته ما نقص ذلك من خزائن رحمتك شيئا .

يا أبن آدم

إذا رميت من الزمان بشدة
واصابك الأمر الاشق الأصعب

فاضرع لربك انـــه أدنى
لمن يدعوه من حبل الوريد واقرب

سبحانك أنت القائل :

« وإذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان » فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون .

إن الدعاء عبادة وأفضل العبادة انتظار الفرج فاسئلوا الله فإن الله يحب ان يسأل .

وقد وعدنا المولى تبارك اسمه بالإجابة وأمرنا بالدعاء .

فعلينا أن ندعوه كما أمرنا وسوف يستجيب دعاءنا كما وعدنا .

« وقال ربكم أدعونى أستجب لكم » ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين — أى أذلاء صاغرين —

قال ﷺ الدعاء هو العبادة ثم تلا قوله تعالى « وقال ربكم ادعونى أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين » — رواه ابن حبان فى صحيحه —

فالدعاء هو أعلى أنواع العبادة فإنه سبحانه وتعالى أمر عباده أن يدعوه ثم قال « أن الذين يستكبرون عن عبادتى »

فأفاد بذلك ان الدعاء عبادة وإن ترك دعاء الرب سبحانه إستكبار ولا أقبح من هذا الإستكبار وكيف يستكبر العبد عن دعاء من هو خالق له ورازقه وموجده من العدم وخالق العالم كله ورازقه ومحييه ومميته ومثيبه ومعاقبه .

فلا شك أن هذا الإستكبار طرف من الجنون وشعبه من كفران النعم .

قال ﷺ :« من فتح له باب الدعاء منكم فتحت له أبواب الرحمة » ــ رواه ابى شيبه فى مصنفه ــ

ولعل المراد والله أعلم أن من فتح الله له باب الأقبال على الدعاء بخشوع وخضوع وتضرع وتذلل كان هذا الفتح سببا لإجابه دعائه .

قال رسول الله ﷺ : « لا يغنى جذر من قدر والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل وإن البلاء لينزل فيتلقاه الدعاء فيتعلجان إلى يوم القيامة » ــ رواه الحاكم فى المستدرك والبزار ــ

والحاصل ان الدعاه من قدر الله عز وجل فقد يقضى الشيء على عبده قضاء مقيدا بأن لا يدعوه فإن دعاه أندفع عنه .

قال رسول الله ﷺ :« من لم يسأل الله سغضب عليه » ــ رواه الترمذى ــ

قال رسول الله ﷺ :« من لم يدع الله غضب عليه »

قال رسول الله ﷺ : لا تعجزوا من الدعاء فإنه لن يهلك مع الدعاء أحد » ــ رواه أبن حبان ــ

قال رسول الله ﷺ : « من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد فليكثر الدعاء فى الرخاء » ــ رواه الترمزى ــ

قال رسول الله ﷺ : « ما من مسلم يدعوا الله بدعوة ليس فيها اثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث أما أن يعجل له دعوته وإما أن يدخرها له فى الآخرة وإما أن يرفع عنه من السوء مثلها » ــ أخرجه أحمد والبزار وأبو يعلى باسانيد جيدة وأخرجة أيضا الحاكم وقال صحيح الاسناد ــ

والدعاء من أقوى الأسباب فى دفع المكروه وحصول المطلوب ولكن قد يتخلف عنه أثره إما لضعفه فى نفسه بأن يكون دعاء لا يحبه الله لما فيه من العدوان وإما لضعف القلب وعدم إقباله على الله وجمعيته عليه وقت الدعاء فيكون بمنزلة القوس الرخو جدا فإن السهم يخرج منه خروجا ضعيفا وأما لحصول المانع من

الإجابة من أكل حرام ورين الذنوب على القلوب وإستيلاء الغفلة والسهو واللهو وغلبتها عليه .

قال رسول الله ﷺ : « أدعو الله وأنتم موقنون بالإجابة وإعلمو أن الله لا يقبل دعاء من قلب غافل لاه فالدعاء دواء نافع مزيل للداء ولكن غفلة القلب عن الله تبطل قوته وكذلك أكل الحرام يبطل قوته ويضعفها » .

فاللهم إنا نسألك عيش السعداء وموت الشهداء كما نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى .

استحضروا عظمة الله تعالى فى قلوبكم

إن القلوب إذا غفلت عن ذكر الله ران عليها حجاب كثيف لا يزول إلا إذا تعاطت الدواء الشافى من الطاعات والقروبات ومن هذه الطاعات الدعاء فإنه عبادة وعلى الداعى أن يدعو الله تعالى وهو موقن بالإجابة .

روى أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « أدعو الله وأنتم موقنون بالإجابة وأعلموا أن الله لا يقبل دعاءً من قلب غافل لاه »

فالدعاء دواء نافع مزيل للداء ولكن غفلة القلب عن الله تبطل قوته وكذلك أكل الحرام يبطل قوته ويضعفها كما فى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « يا أيها الناس إن الله طيب لايقبل إلا طيبا وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال يا أيها الرسل كلوا من الطيبات وأعملوا صالحاً إنى بما تعملون عليم »

وقال : « ياأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم »

ثم ذكر الرجل يطيل السفر اشعث أغبر يمد يده إلى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك ؟

وذكر عبد الله بن أحمد فى كتاب الزهد لابيه « أصاب بنى إسرائيل بلاء فخرجوا مخرجا فأوحى الله عز وجل إلى نبيهم أن أخبرهم : أنكم تخرجون إلى الصعيد بأبدان نجسه وترفعون إلى اكفا قد سفكتم بها الدماء وملأتم بها بيوتكم من الحرام الآن حين اشتد عضبى عليكم لن تزدادوا منى الا بُعداً .

وقال أبو ذر يكفى من الدعاء مع البر ما يكفى الطعام من الملح .

والدعاء من أنفع الأدوية وهو عدو البلاء يدافعه ويعالجه ويمنع نزوله ويرفعه أو يخففه إذا نزل وهو سلاح المؤمن كما روى الحاكم فى مستدركه من حديث على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين ونور السماوات والأرض »

وله مع البلاء ثلاث مقامات :

احدها : أن يكون أقوى من البلاء فيدفعه .

الثانى : أن يكون أضعف من البلاء فيقوى عليه البلاء فيصاب به العبد ولكن قد يخففه وإن كان ضعيفا .

الثالث : ان يتقاوما ويمنع كل واحد منهما صاحبه .

والادعية والتعوذات بمنزلة السلاح والسلاح بضاربه لا بحده فقط فمن كان السلاح سلاحاً تاما لاآفة به والساعد ساعدا قوياً والمانع مفقوداً حصلت به النكاية فى العدد ومتى يختلف واحد من هذه الثلاثة تختلف التأثير فإن كان فى نفسه غير صالح أو الراعى لم يجمع بين قلبه ولسانه فى الدعاء أو كان هناك مانع من الإجابة لم يحصل الأثر .

سؤال هـــام :

وها هنا سؤال مشهور وهو أن المدعو به إن كان قد قدر لم يكن غير بد من وقوعه دعا به العبد أو لم يدع وإن لم يكن قد قدر لم يقع سواء سأله العبد أو لم يسأله فظنت طائفة صحة هذا السؤال فتركت الدعاء وقالت لا فائدة فيه وهؤلاء مع فرط جهلهم وضلالهم متناقضون فلو أطرد مذهبهم لوجب تعطيل جميع الأسباب .

فيقال لأحدهم : إن كان الشبع والرى قد قدرا لك فلابد من وقوعهما أكلت أو لم تأكل وإن لم يقدرا لك لم يقعا أكلت أو لم تأكل وإن كان الولد قد قدر لك فلابد منه وطئت الزوجه أو الأمة أو لم تطأهما وإن لم يقدر لم يكن فلا حاجة إلى التزوج والتسرى وهلم جرا فهل يقول هذا عاقل أو آدمى بل الحيوان البهيم مفطور على مباشرة الأسباب التى بها قوامه وحياته فالحيوانات أعقل وأفهم من هؤلاء الذين هم كالأغنام بل هم أضل .

والصواب : أن هاهنا قسما ثالثا : غير ما ذكره السائل وهو هذا المقدور قدر بأسباب ومن أسبابه الدعاء فلم يقدر مجردا عن سببه ولكن قدر بسببه فمتى أتى العبد بالسبب وقع المقدور .

ومتى لم يأت بالسبب أنتفى المقدور وهذا كما قدر الشبع والرى بالأكل والشراب وقدر الولد بالوطء وقدر حصول الزرع بالبذر وقد خروج نفس الحيوان بذبحه وكذلك قدر دخول الجنة بالأعمال وهذ القسم هو الحق وهذا الذى حرمه السائل ولم يوفق له وحينئذ فالدعاء من أقوى الأسباب فإذا قدر وقوع المدعو به بالدعاء لم يصح أن يقال لا فائدة فى الدعاء كما لا يقال : لا فائدة فى الأكل والشرب وجميع الحركات والأعمال وليس شىء من الأسباب آنفع من الدعاء ولا أبلغ فى حصول المطلوب .

ولما كان الصحابة رضى الله عنهم أعلم الأمة بالله ورسوله وافقههم فى دينه كانوا أقوم بهذا السبب وشروطه وآدابه من غيرهم وكان عمر رضى الله عنه يستنصر بالدعاء على عدوه وكان أعظم جنده وكان يقول للصحابة لستم تضرون بكثرة وإنما تضرون من السماء . وكان يقول انى لا أحمل هم الإجابة ولكن أحمل هم الدعاء فإذا ألهمت الدعاء فإن الإجابة معه .

بل الفقيه كل الفقيه الذى يرد القدر بالقدر ويدفع القدر بالقدر ويعارض القدر بالقدر بل لا يمكن الإنسان ان يعيش إلا بذلك .

فإن الجوع والعطش والبرد وأنواع المخاوف والمحاذير هى من القدر والخلق كلهم ساعون فى دفع هذا القدر بالقدر وهكذا من وفقه الله وألهمه رشده يدفع قدر العقوبة الاخروية بقدر التوبة والإيمان والأعمال الصالحة فهذا هذا القدر المخوف فى الدنيا وما يضاده قرب الدارين واحد وحكمته واحده لا تناقض بعضها بعضا ولا يبطل بعضها بعضا فهذه المسأله من أشرف المسائل لمن عرف قدرها ورعاها حق رعايتها والله المستعان.

عبد الحميد كشك

فائدة عظمى لهذه الأمة

أعطيت هذه الأمة أفضالا عظيمة نذكر منها ثلاثة أفضال .

كان إذا أرسل الله نبيا قال له أنت شاهد على أمتك « وجعلكم شهداء على الناس » لتكونوا شهداء على الناس وكان يقال له ليس عليك فى الدين من حرج وقال لهذه الأمة « وما جعل عليكم فى الدين من حرج » وكان يقال له : « أدعنى استجب لك » وقال لهذه الأمة « ادعونى استجب لكم »

ولما أمر الله تعالى هذه الأمة بالدعاء وعدها بالإجابة قال سبحانه « وقال ربكم أدعونى أستجب لكم » فإنك إذا ما تأملت هذا الفعل المضارع « أستجب » وجدته مجزوماً فى جواب الطلب فكان المعنى إن تدعونى أستجب لكم فعلينا أن ندعو الله كما أمرنا ثم بعد ذلك نثق كل الثقة إنه سيستجيب لنا كما وعدنا وكان وعد ربى حقا كما قال الفاروق رضى الله عنه إنى لا أحمل هم الإجابة ولكنى أحمل هم الدعاء بمعنى إذا وفقت للدعاء فكن واثقا من الإجابة وهؤلاء جماعة من الأنبياء يتوجهون إلى المولى تبارك اسمه بدعوات جاءت فى شدائد مختلفه جاء بعضها فى

المرض وجاء بعضها فى الغم وجاء بعضها فى حال العقم قال سبحانه وتعالى حكاية عن أيوب « وايوب إذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت ارحم الراحمين »

فماذا كان بعد ذلك ؟

كانت الإستجابة من الله بالخير العميم إقرأ معى قوله عز وجل « فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين » وها هو ذا يونس بن متى يلتقمه الحوت فلولا إنه كان من المسبحين للبث فى بطنه إلى يوم يبعثون .

انه فى ظلمات البحر والليل وبطن الحوت يناجى من لا يغفل ولا ينام، الذى قال عنه بنى الرحمة عن الأمين جبريل عند الله جل شأنه فى الحديث القدسى الجليل .

« من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السألين »

إن يونس فى هذا الضيق الذى بينه الله تعالى فى قوله : « إذ نادى وهو مكظوم لولا أن تداركه نعمة من ربه »

إنه فى هذه الظلمات يناجى الله بالذكر نداء خفيا يسمعه من

يسمع دبيب أرجل النملة السمراء فى الليلة الظلماء على الصخرة الملساء إنه ينادى .

« لا أله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين »

فماذا بعذ هذا النداء ؟

فإستجبنا له ونجيناه من الغم

فهل كانت هذه الإجابة خاصة بيونس عليه السلام ؟

وهل كانت النجاة من الغم مقصورة عليه ؟

لا بل إنها شاملة لكل من نزل به غم ونادى الله بهذا النداء

قال جل ذكره : « وكذلك ننجى المؤمنين » .

وقال فى آية أخرى فى سورة يونس « ثم ننجى رسلنا والذين آمنوا كذلك حقا علينا ننجى المؤمنين »

وقال فى سورة يوسف : « حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجى من نشاء ولا يزد بأسنا عن القوم المجرمين »

سبحانك اللهم أنت الواحد فى ذاتك لا قسيم لك ، الواحد فى صفاتك لا شبيه لك ، الواحد فى أفعالك لا شريك لك

يامن يجيب العبد قبل سؤاله
ويجود للعـــاصين بالغفـــران
وإذا أتـاه الطالبـون لعفـــوه
ستر القبيح وجاد بالإحسان

وها هو ذا بنى الله زكريا ينادى ربه نداء خفيا قال رب إنى وهن العظيم منى واشتعل الرس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا ثم يدعو ربه « فهب لى من لدنك وليا »
ثم يدعوه « رب لا تذرنى فرداً وأنت خير الوارثين » فتأتيه البشارة .

« فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب » أى فى أطهر مكان وأعظم بقعة وفى أرفع الحالات يصلى لا لاهيا ولا لاعبا ولا لاغيا .

فمن أراد ان يكلم الله فليدخل الصلاة ومن أراد أن يكلمة الله فليقرأ القرآن،قال حاتم الأصم رضى الله عنهوقدسئل كيفأنت إذا دخلت الصلاة .

قال جعلت كان الكعبة أمامى والموت ورائى والجنة عن يمينى والنار عن شمالى والصراط تحت قدمى معتقدا أن ربى سبحانه مطلع علّى ثم أتم ركوعها وسجودها فإذا سلمت لا أدرى أقبلها

الله أم ردها على ؟

لقد كانت الحال التى كان عليها زكريا وقت أن نادته الملائكة من أشرف الحالات وهو قائم يصلى فى المحراب،نادته إن الله يبشرك بيحيى .

قال زكريا مستفهما كأنه يريد ان يقف على الصفه التى سيرزقه الله فيها الولد أنا يكون لى غلام وقد بلغني الكبر وامرأتى عاقر ، هل سأعود إلى سن تسمح لى بالإنجاب وهل سترجع امرأتى شابة تصلح للإنجاب .

أم أننا سنظل على ما نحن عليه من كبر السن وامرأتى عاقر .

فجاءت الإجابة صريحة واضحة بلسان اليقين ومنطق الحق المبين « الله يفعل ما يشاء »

قال تعالى فى سورة مريم وفى قصة زكريا « قال كذلك قال ربك هو على هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا »

إن الذى أوجد من العدم قادراً أن يوجد من الوجود وإن كانت قدرته جل شأنه لا تختلف بإختلاف العدم أو الوجود فأمره بالكاف والنون إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول به كن فيكون وما كان الله ليعجزه من شيء فى السماوات ولا فى

الأرض إنه كان عليما قديرا » .

كن عن همومك معرضا	وكل الامور إلى القضا
وانعم بطول سلامة	تسليك عما قد مضى
فلربما اتسع المضيق	وربما ضاق الفضا
ولرب امر مسخط	لك فى عواقبه رضا
الله يفعل ما يشاء	فلا تكن متعرضا

فادعوا الله مخلصين له الدين

يـــارب

أستحى أن أسألك وأنا أنا ولكن كيف لا أسألك وأنت أنت إن كانت ذنوبى لها حد وغاية فإن عفوك لاحد له ولا نهاية شعاع من رضاك يطفىء غضب ملوك أهل الأرض ولمحة من غضبك تزهق الروح ولو أنعمت فى نعيم الدنيا .

قطرة من فيض جودك تملأ الأرض ريا ونظرة بعين رضاك تجعل الكافر وليا ..

يامن تنادى على عبادك فتقول :
هل من سائل فأعطيه

هل من تائب فاتوب عليه
هل من مستغفر فأغفر له

ها نحن أولاء واقفون ببابك لنلوذ بجنابك فبابك يقبل المطرودين ويعفو عن المذنبين إذا نامت العيون فأنت الحى القيوم وإذا أغلقت الملوك أبوابها فبابك ليس عليه حاجب ولا بواب

أنت الذى تهب الكثير وتجبر القلب الكسير وتغفر الذلات وتقول هل من تائب مستغفر او سائل أقضى له الحاجات يامن لا تدركه الأبصار ولا تحويه الأقطار ولا يؤثر فيه الليل ولا النهار وهو الواحد القهار .

جعلت الدعاء مخ العبادة بل هو العبادة نفسها وقلت فى هذا الشأن « ادعونى أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم واخزين »

إذا كان الدعاء عبادة فلكل عبادة آداب فما آدبه ؟

إن للدعاء آدابا نجملها فيما يلى :

١ – أكبر هذه الآداب تجنب الحرام مأكلا ومشربا وملبسا
٢ – الاخلاص لله تعالى لقول تعالى « فادعوا الله مخلصين له الدين

٣ - تقديم عمل صالح يدل على ذلك حديث الذين انطبقت عليهم الصخرة كما فى الصحيحين وغيرهما فإن النبى ﷺ حكى عنهم أنهم توسل كل واحد منهم باعظم أعماله التى عملها لله عز وجل فإنه أستجاب الله دعاءهم وارتفعت عنهم الصخرة وكان ذلك بحكايته ﷺ لامته سنة .

معنى ذلك أنك إذا قمت مرة بعمل تظن أنه مقبول عند الله تعالى فيمكنك أن تقول اللهم إن كنت تعلم أن هذا العمل كبكاء مرة من خشية الله أو إعانة محتاج أو تفريج كربه خالصا لوجهك ففرج عنى ما أنا فيه .

٤ - الوضوء : وقد صح أنه ﷺ لما سلم عليه بعض الصحابة تيمم من جدار الحائط ثم رد عليه وإذا كان هذا فى مجرد رد السلام فكيف بذكر الله سبحانه فإنه أولى بذلك — وأخرج أبو داود من حديث أبن عباس عنه ﷺ «كرهت أن أذكر الله إلا على طهر»

ويقول ﷺ من كانت له حاجة إلى الله عز وجل أو إلى أحد من بنى آدم فيلتوضأ وليحسن الوضوء ثم ليصل ركعتين ثم ليثن على الله تعالى بما هو أهله ويصلى على النبى ﷺ — اخرجه الحاكم فى المستدرك — وهذا الحديث دليل على صلاة الحاجة

٥ – استقبال القبلة : وقد استقبلها ﷺ فى دعائه فى غير موطن كما فى يوم بدر .

٦ – الصلاة لما جاء من حديث النبى ﷺ « ثم ليصل ركعتين »

٧ – الثناء على الله تعالى « ثم ليثن على الله بما هو اهله » يقول الحمد لله

٨ – الصلاة على نبيه ﷺ « وليصل على النبى .

٩ – بسط يديه ورفعها حذو منكبيه لقول رسول الله ﷺ « إن الله حيى كريم يستحى إذا رفع الرجل يديه أن يردهما خائبتين » ـ أخرجه أبو داود والترمزى وأبن حبان والحاكم ـ

١٠ – التأدب والخشوع والمسكنة : فأما ما يدل على التأدب ما رواه مسلم من حديث على رضى الله عنه وفيه : « أنا عبدك ظلمت نفسى واعترفت بذمبى »

وأما ما يدل على الخشوع ـ ما رواه إبن أبى سيبه من قول مسلم بن يسار ـ قال « لو كنت بين يدى ملك تطلب حاجة لسرك أن تخشع له »

وأما ما يدل على المسكنة ما ورد عن النبى ﷺ فى أحاديث الإستسقاء .

١١ – أن يسأل باسماء الله تعالى العظام،ويدل على ذلك قول الله عز وجل « ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها » وأرجح ماورد فى تعين إسم الله الأعظم ثلاثة أحاديث.
« اللهم أنى أسالك بأنى أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد » « اللهم إنى اسألك بأن لك الحمد لا أله إلا أنت المنان بديع السماوات والأرض ياذا الجلال والأكرام ياحى ياقيوم » « لا أله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين »

١٢ – الأدعية المأثورة مثال ذلك ما رواه الترمزى عنه على رضى الله عنه ان مكاتبا له جاء فقال إنى عجزت عن كتابتى فأعنى مقال له : الا أعلمك كلمات علمنيهن رسول الله ﷺ لو كان عليك مثل جبل أحد دينا لأداه الله عنك قال اللهم أكفنى بجلالك عن حرامك وأغننى بفضلك عمن سواك .

١٣ – يخفض صوته لحديث « أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا » .

١٤ – ويعترف بذنبه لحديث البنى ﷺ فى حديث على رضى الله عنه عند مسلم « ظلمت نفسى وأعترفت بذنبى فأغفر

لى ذنوبى جميعها .

١٥ – ويبدأ بنفسه ولا يخص نفسه إن كان إماما .

١٦ – يسأل بعزم ورغبة وجد وإجتهاد ويحضر قلبه ويحسن رجاءه .

١٧ – أن يكرر الدعاء ويلح فيه « إن الله يحب المللحين فى الدعاء » .

١٨ – ولا يدعو بإثم ولا قطيعة رحم ولا بأمر قد فرغ منه ولا بمستحيل .

١٩ – ولا يتحجر ووجه ذلك أن النبى ﷺ لما سمع الأعرابى يقول اللهم أرحمنى ومحمداً ولا ترحم معنا أحدا قال له لقد تحجرت واسعا .

٢٠ – ويسأل حاجته كلها .

٢١ – ويؤمن الداعى والمستمع .

٢٢ – ويتوسل إليه تعالى بانبيائه والصالحين : أما التوسل بالصالحين فمنه ما ثبت عن الصحابة فى الصحيح إنهم إستسقوا بالعباس رضى الله عنه عم رسول الله ﷺ وقال عمر رضى الله عنه اللهم أنا كنا إذا أجبنا نتوسل إليك بنبيك فتسقينا فالآن نتوسل إليك بعم نبيك فاسقنا ثم

طلب من العباس أن يدعو الله فقام العباس فدعا الله تعالى فسقاهم الله .

اللهم انا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى كما نسألك علما نافعا ورزقا واسعا وشفاء من كل داء ياأرحم الراحمين .

دعــوة المظلوم

اتق دعوة المظلوم فليس بينها وبين الله حجاب واعلم بإن هناك ثلاثة لا ترد لهم دعوة : الإمام العادل والصائم ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام وتفتح لها أبواب السماء ويستقبلها الرب عز وجل ويقول لصاحبها وعزتى وجلالى لأنصرنك ولو بعد حين .

واحذر من المظلوم سهما صائبا
واعلم بأن دعاءه لا يحجب
وإذا رميت من الزمان بشدة
واصاب الأمر الاشق الاصعب
فاضرع لربك إنــــه أدنى
لمن يدعوه من حبل الوريد وأقرب

الظلم مرتعه وخيم وهو لا يدوم وإذا دَام دمّر والحرام لا يدوم وإذا دَام لا ينفع .

إن الظلم هو الذى يدمر الأمم ويقوض المجتمعات لذا أخبر الصادق المعصوم عن خطر دعوة المظلوم فقال : إتق دعوة المظلوم ولو كافرا فعليه كفره .

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرا
فالظلم ترجع عقباه إلى الندم
تنام عينك والمظلوم منتبه
يدعو عليك وعين الله لم تنم

إن فرعون لما طغى وبغى وعلا فى الأرض وذبح الأبناء وظلم الأحياء وبلغ به الغرور مبلغه حتى قال ياأيها الملأ ما علمت لكم من أله غيرى فاوقد لى ياهامان على الطين فاجعل لى صرحا لعلى اطلع إلى أله موسى وإنى لا ظنه من الكافرين وإستكبر هو وجنوده فى الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون .

فماذا كان المصير وكيف كانت العاقبة فاخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون وأتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين .

أرأيت كيف كانت عاقبة الظلم وإلى أى حد كانت عاقبة الظالمين ؟ .

غرق وإمامه إلى النار وعدم النصرة يوم القيامة ولعنة فى الدنيا وطرد من رحمة الله تعالى فى الآخرة .

يقول الإمام ابن تيمية رضى الله عنه : إن الله تعالى ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة ولا ينصر الدولة الظالمة ولو كانت مسلمة . ثم استشهد على ذلك بقول الله تعالى « وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون » .

وما أجمل ماقاله النبى ﷺ فى عاقبة الظالمين إذ يقول : « إن الله لا يعجل كعجلة أحدكم إن الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ، أقرءوا إن شئتم وكذلك اخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة إن أخذه اليم شديد » .

نعم إن الظالم يأتى يوم القيامة مع المظلوم فيقفان فى ساحة العدل فى محكمة كتب على بابها ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين .

يقول الله تعالى للمظلوم يوم القيامة تقدم ويقول للظالم لا تتكلم .

نعم هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين فإن كان لكم كيد فكيدون .

ياله من يوم ما أطوله وياله من خطب ما أهوله وياله من جبار ما أعدله .

يقول فى حديثه القدسى الجليل : « اشتد غضبى على من ظلم من لم يجد له ناصرا غيرى واشتد غضبى على من وجد مظلوماً فقدر أن ينصره فلم ينصره » .

سبحانك يامن تنادى على عبادك فتقول : ياعبادى أنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا وصلى الله وسلم على نبيه الذى قال من مشى مع ظالم ليقويه وهو يعلم أنه ظالم فقد خرج عن الإسلام .

يا ابن آدم :

انت الذى ولدتك أمك باكيا
والناس حولك يضحكون سرورا
فاعمد إلى عمد تكون إذا بكوا
فى يوم موتك ضاحكا مسرورا

البر لا يبلى والذنب لا ينسى والديان لا يموت اعمل ما شئت كما تدين تدان .

إذا عزتك قوتك على ظلم الناس فانظر إلى قوة العزيز الجبار من فوقك .

ان الظلم عاقبته دمار ووبال وعار وشنار .

وإذا ما نظرت فى آى القرآن الحكيم رأيت أن الله تعالى لا يرضى الظلم فى أى صورة من صوره وقد يكون سبب إهلاك الأمم انها ظلمت وعتت عن أمر ربها ورسله ، أقرا معى قوله جل شأنه « ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات »

وقوله تبارك اسمه : « وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا » .

وقوله عز وجل « فكأين من قرية أهلكناها وهى ظالمه فهى خاويه على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد » .

هذه صورة من صور الظلم الإجتماعى قوم يسكنون القصور ويحتسون الكؤوس المترعه ويستمتعون بالخير الأماليد تتمرغ النعمة فى أعتابهم ويشتهون إلا أن يدوسوها بأقدامهم .

تهب عليهم نسمات رقيقة تحمل فى ثناياها قطرات الندى

معطرة باعراف الرياحين بينما هناك قوم آخرون يستحلبون الصخور ويبيتون على الطوى يفترشون الغبراء ويلتحفون السماء يلفحهم قيظ الهواجر من فيح جهنم .

يقول الله عز وجل فى الحديث القدسى الجليل : « الاغنياء وكلائى والفقراء عيالى فإذا بخل وكلائى على عيالى أخذتهم ولا أبالى »

فاتق دعوة المظلوم فان لهؤلاء الفقراء دولة .

إذا كان يوم القيامة قال الله لهم ياعبادى انظروا إلى أهل الموقف فمن تصدق عليكم منهم بصدقة فى الدنيا فخذوا بيده إلى الجنة فقد شفعتكم اليوم فيهم إن الله تعالى سيسأل العبد يوم القيامة عن شبابه فيما أبلاه وعن عمره فيما أفناه وعن ماله من أين إكتسبه وفيما أنفقه وعن علمه ماذا صنع فيه وقد يبلغ المجتمع اسوأ حلاته إذا أحب خمسا ونسى خمسا إذا أحب المخلوق ونسى الخالق ، وإذا أحب المال ونسى الحساب وإذا أحب القصور ونسى القبور وإذا أحب الدنيا ونسى الآخرة وإذا أحب الذنوب ونسى التوبة .

نسأل الله العفو والعافية وحسن العاقبة

عبد الحميد كشك

دعوة تفتح لها أبواب السماء

إنها دعوة المغلوب فالله جل جلاله كل شيء قائم به وكل شيء خاشع له ، رضا كل يائس وقوة كل ضعيف وعز كل ذليل وغنى كل فقير من تكلم سمع نطقه ومن نطق كتب قوله ومن سكت علم سره ومن عاش فعليه رزقه ومن مات فإليه منقلبه .

وهنا نحن أولاء أمام شيخ الأنبياء نوح على نبينا وعليه الصلاة والسلام لبث فى قومه الف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم إلى التوحيد دعوة متواصلة يوضحها القرآن فى قوله جل شأنه حكاية عن نوح .

« قال رب أنى دعوت قومى ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائى إلا فرار وإنى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم واصروا وأستكبروا إستكبارا ثم إنى دعوتهم جهارا ثم إنى أعلنت لهم واسررت لهم اسرار » .

الام كان يدعوهم ؟

أيدعوهم إلى ما فيه هلاكهم وتدميرهم

أيدعوهم إلى الانحراف واقتراف الرذائل

أيدعوهم إلى الاحتراق بنار الشهوات
أيدعوهم إلى الظلم وأكل الحرام
أيدعوهم إلى الربا والاحتكار والغش
أيدعوهم إلى سفك الدماء وقتل الأبرياء وظلم الضعفاء
أيدعوهم إلى ان يعيشوا فوق هذه الأرض عيش الوحوش الضوارى يأكل القوى منهم الضعيف ؟

لقد دعاهم فقال : « إستغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرار ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا » .

نعم ! إنها دعوة إلى الصلح مع الله فمن أراد عزة فالله يكفيه .

ومن أراد مؤنسا فالله يكفيه
ومن أراد حجة فالله يكفيه
ومن أراد الغنى فالله يكفيه
ومن أراد واعظا فالله يكفيه

ومن لم يكفه شيء من هذا فإن النار تكفيه، لقد قال لهم نوح مالكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا .

أى خلقكم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة ليبين لكم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلا مسمى .

نعم ! خلقكم أطوارا ـــ الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة .

نعم جل جلاله الله

فمن اعتمد على عقله ضل

ومن اعتمد على علمه ذل

ومن اعتمد على جاهه ذل

ومن اعتمد على الناس مل

ومن اعتمد على ماله قل

ومن اعتمد على ذكائه اختل

ومن اعتمد على الله فلا ضل ولا زل ولا ذل ولا مل ولا قل ولا اختل

ثم أخذ يعرفهم بنعم الله عليه « ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا » .

من الذى يقوى على أن يسخر هذه الكائنات،إنها تناديك ياابن آدم وتهتف بك قائله : أنظر إلى السماء وارتفاعها والشمس

وشعاعها والأرض واتساعها والافلاك ومدارها والجبال ورسوخها والنجوم وسموها والبحار وامواجها وإلى كل ظاهر وكامن ومتحرك وساكن الكل يشهد بجلال الله ويقر بكماله ويعلن بذكره ولا يغفل عن شكره .

فلو سألت الكائنات من العرش إلى الفرش ومن السماء إلى الأرض، لو سألتها من خالقك لقالت لك بلسان الحال والمقال : انا مخلوقه للواحد الديان « تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وان من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا »

الشمس والبدر من انوار حكمته
والبر والبحر فيض من عطاياه
الطير سبحه والوحش مجده
والموج كبره والحوت ناجاه
والنمل تحت الصخور السمر قدسه
والنحل يهتف حمدا فى خلاياه
والناس يعصونه جهرا فيسترهم
والعبد ينسى وربى ليس ينساه

وبعد هذا التوحيد الخالص الذى أعلنه الكون فى عبارة صريحه

واضحة والقى باللوم على الذين اعينهم فى غطاء عن ذكر الله ولا يستطيعون سمعا سألهم الكون : هذا السؤال

ان هذا النظام دليل التدبر والحكمة والعناية والإتقان والرعاية فلا نظام بلا تدبير ولا عناية بلا حكمة .

فمن الذى أنشأ هذا النظام البديع على هذا النحو الرائع ؟
الصدفة العمياء ؟
أم الطبيعة الصماء ؟

كلا فالصدفة ليس لها عقل ولا تدبر والطبيعة جماد أصم أبكم . فهل فاقد الشيء يستطيع أن يعطيه ؟ لقد اثبتت الحقائق فى بدائه الأمور ان فاقد الشيء لا يعطيه وحقائق الاشياء ثابته والعلم بها متحقق ما يجادل فى آيات الله إلا الذين كفروا فلا يغرنك تقلبهم فى البلاد .

فلا الصدفة العمياء تقوى على خلق شيء لأنها عشواء لا تعرف نظاما ولا تدبيرا .

ولا الطبيعة الصماء تقدر على ابداع ذرة فى الكون لا هذه ولا تلك بل هو الله العزيز الحكيم هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون فى ضلال مبين .

هذه قضية الالوهية فى اسمى معانيها وفى أرفع مقاصدها وأعلى أهدافها إنها قضية التوحيد .

توحيد الالوهية فهو الله الواحد فى ذاته لا قسيم له الواحد فى صفاته لا شبيه له الواحد فى أفعاله لا شريك له .

وتوحيد الربونية فهو وحده الخالق الرزاق الحليم الكريم صاحب الأنعام والأفضال فماذا قال نوح بعد ذلك لقد انتقل إلى وصيه البعث يبينها للقوم بيانا شافيا يخاطب أصحاب العقول الرشيدة والمفاهيم السديده فماذا قال ؟

وللحديث بقية ان شاء الله تعالى

عقيدة البعث والجزاء

ما من رسول أرسله الله تعالى إلى قومه إلا دعاهم إلى التوحيد والبعث بعد الموت والعمل الصالح وهذا منهج الرسل أجمعين .

واستمراراً مع رسالة شيخ الأنبياء نوح نرى أنه دعا قومه إلى التوحيد فأقام على هذا الأصل الأصيل الأدلة التى نشرها الله تعالى فى الأنفس والآفاق قال لهم : « ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا »

أى على مراحل من نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى غير ذلك من العظام واللحم . والانشاء خلقا آخر ثم اقام لهم الأدلة التى تراها الأعين والأفاق قال : « الم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقا وجعل القمر فهن نوراً وجعل الشمس سراجاً » .

وفى هذه الأدلة ما يغنى اللبيب ويبصر ذوى الأفئدة المستنيرة وأصحاب الألباب التى لا تعرف تعصبا للباطل .

ثم انتقل شيخ الأنبياء فى دعوته لاثبات قضية البعث بعد الموت والجزاء قال كما جاء فى الكتاب العزيز « والله انبتكم من الأرض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا » .

نعم ! إنها قضية لابد ان يؤمن بها من كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا .

فما نحن وهذا النبات إلا أفراد مملكة تشابهت وتماثلت وتكاد تتحد فى أحوالها وشئونها فكل منا ينمو وتتوالد ويتكاثر ويتزاوج ويستنشق ويتغذى .

فاذا كان النبات يحول الطاقة إلى غذاء فإن الانسان يحول الغذاء إلى طاقة .

وإذا كان النبات يستنشق من الهواء غاز ثانى اكسيد الكربون

ويطرد الاكسجين فإن الإنسان على عكس ذلك .

فالنبات فى ذلك يهيىء له الهواء بعنصره الفعال وإذا كان النبات يمتص العناصر الأرضية وينمو بذلك فما نحن بنى البشر إلا من عناصر هذه الأرض وأهمها الكربون والدهن والفسفور والمغنسيوم والكبريت والجير والحديد والماء . « والله انبتكم من الأرض نباتا »

وإذا كان النبات عبارة عن بذور تلقى فى باطن الأرض فما نحن بنى البشر إلا نطف تقذف فى ظلمات الأرحام وإنها لظلمات بعضها فوق بعض .

وإذا كان النبات ينمو فيخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه ، فإن الإنسان ينمو من مهده إلى لحده مارا بالطفولة والصبا والشباب والرجوله والشيخوخة والكهوله حسب مشيئة الله تعالى .

وإذا كان النبات يحصد استوائه على سوقه فإن الإنسان يحصده الموت عندما يستوفى أجله المقدر له فى علم الله « ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت أن الله عليم خبير » .

قال تعالى : « منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى »

وإذا كان النبات بعد استوائه واستحصاده يذهب به إلى الاجران ليدرس بالنوارج فإن الإنسان يذهب به إلى المقابر .

كل ابن انثى وان طالت سلامته
يوما على آله حدباء منقول
فإذا حملت إلى القبور جنازة
فاعلم بأنك بعدها محمول

قال تعالى : « ثم يعيدكم فيها » .

وكأنى بك يا ابن آدم بعد موتك وقد انقسمت إلى خمسة اشياء : عظام ولحم ومال وحسنات وروح .

أما العظام فللتراب
وأما اللحم فللدود
اتيت القبور فناديتها
فاين المعظم والمحتقر
واين المدل بسلطانه
واين المذكى وإذا ما افتخر

تساووا جميعــا فمـــا مخبر
وماتـوا جميعـا ومـات الخبر
فيـاسائلى عن انـــاس مضوا
أمـالك فيمـا مضى معـــتبر
تروح وتغـدو بنـات الثرى
فتمحـو محاسن تلك الصورّ

فإذا كانت العظام ستصير ترابا ، وإذا كان اللحم سيأكله الدود فإن المال لن يفارق عتبة دارك فقد صار إلى الورثة وكأنى بك تنادى وأنت خارج من بيتك .

ياأهلى ياأبنائى يامن سكنتم ديارنا وملكتم أموالنا لا تلعبن بكم الدنيا كما لعبت بنا لقد جمعت المال من الحلال والحرام وتركته لكم تستمتعون به وسوف أسأل عنه وحدى أمام الله تعالى .

أما الحسنات فللخصوم إذا كنت شتمت هذا وضربت هذا وقذفت هذا وسفكت دم هذا أخذ هذا من حسناتك وهذا من حسناتك فإذا فنيت حسناتك أخذ من سيئاتهم فطرحت على سيئاتك ثم طرحت فى النار .

أما الروح فانها ذاهبة إلى مالك الملك وملك الملوك . « فلولا

إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعونها إن كنتم صادقين » .

إلى اين المصير ؟

واين المفر ؟

وما المآل ؟

فأما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين وأما إن كان من الكذبين الضالين غنزل من حميم وتصلية جحيم .

ما مصدر هذه الأنباء ؟

وأى وكالات الاخبار أذاعتها ؟

إنه كلام أصدق القائلين وأسرع الحاسبين وأحكم الحاكمين وأعدل العادلين « ان هذا لهو حق اليقين » .

إن محيط ما وراء الطبيعة أعنف من أن يمخر عبابه سبح ماهر « فسبح باسم ربك العظيم » .

أعلمت من أنت ياابن آدم بعد موتك عظام ولحم ومال وحسنات وروح .

أنت الذى ولدتك أمك باكيا والناس حولك يضحكون سرورا فاعمد إلى عمل تكون إذا بكوا فى يوم موتك ضاحكا مسرورا .

اسأل الله أن يرزقنا التقوى وأن يحشرنا فى زمرة الاتقياء .

النبات والإنسان والبعث

ما أعظم الشبة بين المملكة النباتية والإنسان فكل منها يتغذى وينمو ويتنفس ويتكاثر وكل منهما تقوم خلاياه ببناء أنسجته ، وأنسجته ببناء أعضائه ، وأعضاؤه ببناء أجهزته لذا قال الله تعالى فى شأن الإنسان « والله أنبتكم من الأرض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم أخراجا » .

فإذا ما كان النبات عظيم الشبه بالإنسان فإن البعث عقيده أمر الإسلام بالإيمان بها ولكى يقنع العقول بوقوعه وأنه حق لا مراء فيه فإنه يقرب الصورة إلى ذوى الألباب الباصرة وأولى الافئدة المستنيرة بقياسه على أمر محسوس مشاهد لكل ذى عينين ولسان وشفتين إنه عالم النبات ، والنبات يشبه الإنسان فى جميع مراحله فعندما تلقى بذوره فى ظلمات الأرض فهو كالنطف التى تقذف

فى ظلمات الأرحام .

وعندما يستوى على عوده فهو كالإنسان عندما ما يبلغ أشده وهو عندما يستحصد فهو كالإنسان عندما ما يبلغ أجله المكتوب له فيحصده الموت حيث يوارى مثواه الأخير .

والنبات عندما نأخذ بذوره بعد استوائه وإستحصاده ونلقى به فى ظلمات الأرض مرة أخرى فإنه يؤتى أكبه وثماره ولا يظلم من ذلك شيئا ولا يتأبى على الانبات وكذلك الإنسان عندما يستوفى فى تلك الأرض الأجل الذى حدده الله فإنه يعود يوم القيامة كما قال سبحانه وتعالى : « كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين » .

وكما قال تبارك أسمه : « وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى فى السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم » .

والآيات فى ذلك متضافرة متعاونه على أن البعث حق لا مراء فيه ، قال تعالى : « كما بدأكم تعودون » وقال جل شأنه : « ونفخ فى الصور فجمعناهم جميعا » .

فلماذا ينكر الجاحدون ويمارى الملحدون ويجادل مرضى القلوب فى وقوع البعث ولا يجادلون فى عالم النبات وكيف إذا بذر فى الأرض وتوارى فى بطنها وظلماتها إنه يعود نباتا كما كان ؟ هل يستطيع هؤلاء واولئك أن يجادلوا فى تلك الحقيقة ؟ .

وليس يصح فى الاذهان شيء
إذا احتاج النهار إلى دليل

قال تعالى : « وهو الذى يرسل الرياح بشرابين يدى رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فاخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون »

قلب البصر وأوقد البصائر واعمل فكرك فى هذا القياس الجلى « فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون » .

أن القضية فى هذا القياس أجلى من الشمس فى ضحاها وأشد وضوحاً من القمر إذا تلاها وأعظم ضياء من النهار إذا جلاها فمن أنكرها تخبط فى ظلمة الليل إذا يغشاها .

إنها لا تحتاج من الملحدين المارقين إلا أن ينزعوا العصابة السوداء عن أعينهم عندئذ ينشق فجر النهار أمامهم ويتضح الحق

ويتبين كما يتبين الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر .

لذلك فإن الله جلت قدرته ختم الآية بقوله « لعلكم تذكرون » .

وهل يضل الإنسان إلا بالنسيان ويقول الإنسان إذا مامت لسوف أخرج حيا أولا يذكر الإنسان إنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا .

عليك أيها الإنسان ألا تنسى من أنت وما أنت وماذا كنت وإلى أين تصير . فإذا نسيت وكابرت فإن الله تعالى قد بين سوء المصير .

الذين يجادلون فى الحق وينكرون ضوء الشمس وهى تضرب وجه الأرض بسياطها الحامية وقد سال منها لعاب كالمهل يشوى الوجوه قال تعالى : « وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا الذين كانت أعينهم فى غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعا » .

قال أحد الحكماء

ماضر شمس الضحى فى الأفق ساطعه

ان لا يرى نورها من ليس ذا بصر

وما أجمل قوله جل جلاله « والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور »

فانظر معى كيف قاسى النشور وهو البعث على إحياء الأرض الميته بالنبات . ثم انظر معى قوله جل وعلا : « وترى الأرض هامده فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج »

هذه حقيقة أنتجت خمس نتائج فى آيتين تاليتين .

اولاها : ذلك بأن الله هو الحق .

وثانيتها : وأنه يحيى الموتى .

وثالثتها : وأنه على كل شيء قدير .

ورابعتها : وأن الساعة آتية لا ريب فيها .

وخامستها : وأن الله يبعث من فى القبور .

هذه نتائج دلت أوضح دلالة على أن من اعتراه ريب فى البعث والنشور والساعة وقدرة الله واحياء من فى القبور من اعتراه شك فعليه ان يتأمل فى عالم النبات المحسوس المشاهد فسوف يرى تمام الشبه بينه وبين عالم الإنسان .

ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء أهتزت وربت إن الذى أحياها لمحيى الموتى إنه على كل شىء قدير .

ثم يبين تعالى بعد هذه الآية إنه مطلع على خفايا الملحدين فى آياته الذين عثت الشكوك بمفاهيمهم وهاجت عقارب البغضاء فى صدورهم وتحركت ثعابين الحقد فى أفئدتهم .

قال تعالى : « إن الذين يلحدون فى آياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقى فى النار خير أمن يأتى آمنا يوم القيامة أعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير » .

نعم أعملوا ما شئتم هذا أسلوب تحذير من العلى القدير .

الله اكبر إن دين محمد وكتابه أقوى وأقوم قيلا لا تذكروا الكتب السوالف عنده طلع الصباح فاطئو القنديلا

الله اكبر إن دين محمد
وكتابه أقوى وأقوم قيلا
لا تذكروا الكتب السوالف عنده
طلع الصباح فاطفئوا القنديلا

عبد الحميد كشك

طبع بمطابع المروة بالأسكندرية
تليفون : ٤٣٠١٣٤٨ — ٤٣٠١٣٤٩